

من وراء البحار

أندريه مالرو وناقده

هو يظن أن تفكيره في المجلة الفرنسية الجديدة *N.R.F.* التي كانت تصدر قبل الحرب ، يؤدي به إلى أن يقول إنه لم يجد فيها إلا القليل مما يتخذ نموذجاً في النقد الأدبي .

فمثل هذا البحث البسيط يدل على مشكلة لها شئ من الأهمية ، ويبحث على الريبة في نوع الاهتمام الكبير الذي يجده الأدب في هذه الأيام . ولعل من أهم مظاهر الأدب الفرنسي في هذه الأيام ، الاحترام الكبير للروائيين الأمريكيين . فلقد ابتدأ الفرنسيون منذ سنة ١٩٣٠ ينقلون روايات فولكنر وهمنجواي وكلدويل ودوس باسوس وشتاينبك إلى لغتهم . ولعل هذا العمل هو أهم الحوادث في تاريخ الأدب الفرنسي المعاصر . وهو يقول أنه ليس بين يديه إحصاءات ، ولكن نظرة يلقيها على دليل أحد الناشرين تظهر له تفوق الروايات الأمريكية على المنتجات الأدبية الوطنية . ويكتب كبار الأدباء الفرنسيين المقدمات لهذه

في مجلة « سكروتني » عدد الربيع بحث هام بقلم مستر ميسون الأديب والناقد الانجليزي عن أندريه مالرو الأديب الفرنسي الذي قامت حوله ضجة في هذه الأيام ، وعن الناقلين الفرنسيين الذين تعرضوا له بالمدح أو الذم .

ويعد هذا المقال أيضاً بمثابة وصف لحالة النقد الفرنسي في فرنسا . ويظهر أن مستر ميسون يرى أن النقد الأدبي في فرنسا متأخر . فهو يقول إنه نظر في المجلات الفرنسية الشهيرة التي تعنى بالنقد ، فأمكنه أن يتذكر في الحال أسماء خمس عشرة مجلة كبيرة لكل منها جماعة من الناقلين ، ولكن الفحص لهذه الكمية الكبيرة من الكتابات النقدية يؤدي إلى نتيجة غريبة ؛ فهو يدهش إذ يرى أنه لم يجد منها المساعدة التي كان ينتظرها ، إذا بحث عن كاتب حديث كألبيير كامو مثلاً . وهو يرى أن هذا الإهمال في تتبع الأعمال الأدبية ونقدها ، ليس علة من العلة التي ظهرت فيها بعد الحرب ، بل

ذلك قد صار هدفاً لحملات النقاد من الشيوعيين .

ويمكن الوقوف على نوع هذا الجدل بالرجوع إلى مقال نشره أخيراً مسيو كلود مرجان في مجلة « الآداب الفرنسية » . فقد أراد مسيو مرجان أن

يحيب على أسئلة القراء الذين سألوه :

لماذا يحمل دائماً على مالرو وهو « مؤلف مهم يقل فيه فهو من كبار الكتاب

اليساريين » . وهو يعترف بأن هذا هو

رأى جمهور الناس ؛ ولكنه يزعم بأن

مالرو قد حصل على هذه الشهرة لأنه

في أثناء بحثه عن المغامرات التي قد

تؤدي به إلى أن يلعب دوراً هاماً ،

حدث أن صار يسارياً لوقت ما . ولكن

الرو الحقيقى — على قوله — هو مترجم

حياة ت. ا. لورنس الذى يعمل

لتقليد ذلك الانجليزى ، وهو الوزير في

وزارة دى جول . ويقول مسيو مرجان

أن مالرو ظهر في ثوبه الحقيقى عندما

قال لطلاب السربون في بحث عن

التقاليد : « إن المشكلة الحقيقية ليست

هى نقل الحضارات في أنواعها ،

ولكن هى معرفة كيف أن كل صفة

من الصفات الانسانية التي تصور كل

حضارة ، قد وصلت إلينا ؛ وكيف

صارت قيمتها لنا » . والعبارة التي أثارت

سخط الشيوعيين في هذه المحاضرة

الروايات أو يعلقون عليها تعليقا

طويلاً في المجلات ، ويقول مسيو سارتر

إن « ثلثي المؤلفات المخطوطة التي يقدمها

الشبان للمجلة التي يديرها هى تقليد

لكالدويل أو همنجواى أو دوس

باسوس » .

وتأثير السياسة في الأدب هو

الآن قوى كما كان دائماً قوياً في تاريخ

فرنسا . فالناقشة حول الماركسية التي

شغلت عالم الأدب الانجليزى قبل

الحرب ، وانتهى الأدباء منها ، لانزال

مستعرة في المجلات الفرنسية . ويجب

لكي نقف على المثال الذى يحتذى في

هذا الجدل أن نتجه إلى روسيا بدلا

من انجلترا أو أمريكا . على أن هذا

النموذج من الجدل معروف ؛ ففي السنوات

السابقة للحرب رأينا الاستعراض الذى

عرضه جيد . ولكن نجد نوعاً مما يجري

بعد الحرب فقد نختار النزاع الأدبي

الذى يقوم حول أندريه مالرو ؛ فقد

رحب الكثير من الأدباء الشيوعيين

بقصصه الأولى على أنها أدوات مفيدة

في خدمة القضية الشيوعية . ويظهر

أن مالرو نفسه ظل بعض الوقت يبذل

مجهوداً ليكتب ما يلائم الأدب

اليسارى ؛ ولكنه في أثناء الحرب ابتعد

عن الشيوعيين . والآن يقال إنه على

علاقة وثيقة بالزعيم دى جول ؛ وعلى

وفحص مستر ميسون رأيين ظهرا
أخيراً في كتابين عن أندريه مالرو ،
ليظهر هذا القصص في النقاد الفرنسيين .
وأحد الكتابين ألفه مسيو جايتمان
يكون ، والآخر ألفه مسيو كلود
موريك .

ولقد قال مسيو موريك في مقدمة
كتابه إنه عند ما يكتب عن مؤلف
مات ، أو لا يستطيع أن يتطور بعد
ذلك ، يحاول أن يجد « فكرة مركزية
تبيح له وتنظم عمل المؤلف في مجموعه » .
ويظهر أن مسيو موريك التجأ إلى هذه
الطريقة في كتابيه السابقين عن
جوداندو وكوكتو . على أنه ليس
من العقول أن عدداً من الروايات التي
تؤلف مجموعة من العمل الأدبي ، يمكن
أن تستخلص منها فكرة مركزية
واحدة ، من غير أن تتعد عن
موضوعاتها ، ومن غير أن تخل بما في
كل منها من صفات شخصية ، هي التي
تجعل لها قيمة ؛ فليس في نسج الخيال
ما يمكن تنظيمه وترتيبه على هذه
الطريقة . والمحاولة لا إيجاد مثل هذه
الفكرة المركزية لا تنجح إلا إذا
تجاهلنا ما نسميه المميزات الأساسية .
ويعتذر مسيو موريك عن كثرة
الاستشهاد بعبارات مقتبسة من مؤلفات
مالرو بأن ذلك يؤدي إلى استخلاص

هي : « إنه لا يهم مطلقاً أن يكون
من بينكم أتم أيها الطلاب فريق
من الشيوعيين أو الذين يخاصمون
الشيوعية أو أحرار أو أى شئ آخر
(وأحدثت هذه الكلمات ضجة) لأن
المشكلة الحقيقية الوحيدة هي معرفة
ما فوق هذه الأبنية ، وبأى نوع
نستطيع أن يفيد خلق الانسان من
جديد . » وقد اختتم مسيو مرجان
مقاله بقوله : « إنه بعد أن ظهرت هذه
الأدلة على طبيعته الحقيقية لا أفهم
أن يكون في فرنسا أو في الخارج رجل
مثقف من رجال اليسار يدافع عن
مالرو » .

ويقول مستر ميسون إن فحص
الصحافة الأدبية الفرنسية ، التي يهب
فيها النزاع حول مالرو من جميع
الجهات ، يدل على أن النقاد الفرنسيين
لا يهتمون إلا قليلاً بالقيمة الأدبية
للمؤلفات ، ولما يجب من التمييز
الضروري بين المؤلف ومؤلفاته ، وبين
الرسالة التي يمكن استخلاصها من
ملاحظات أحد أشخاص الرواية ،
والتأثير العام للرواية التي يظهر فيها
هذا الشخص . فالناقد الفرنسي يلقى
وراء ظهره ، إذ يأخذ في كتابة نقده ،
جميع القواعد الأولية التي لا يكون
النقد باهماها صحيحاً .

النوع الكريه من النقد هو دائماً من صفات النقد الفرنسى .
أما مسيو يكون فهو يبتدى أيضاً ببيان القواعد التى سيستعملها فى نقده؛ وهو يدافع عن النقد الذى يتناول الأحياء من الأدباء ، ويرى أن الواجب الأول على الناقد الحقيقى هو الاهتمام بأدب عصره . وهو يهتم المعاصرين من النقاد بالخوف والعبودية . وهو يلاحظ ، وفى ملاحظته الكثير من الصدق ، أن أكثر الكتب الباشئة فى الأدب المعاصر إن هى إلا غابة من الأسماء لا تظهر فيها محاولة للتمييز بين الغث والسمين ؛ وإذا تكلم ناقد عن أديب معاصر فهو يفعل ذلك من أجل الصداقة لا من أجل الحكم له أو عليه . ويقول مسيو يكون إن جيل مالرو يتضاءل إذا قورن بجيل بروست وبجي وكلوديل وابلونير وجيد وفاليرى . ويلاحظ مستر ميسون عرضاً ، أنه قد حان الوقت لاعادة تقدير هذه الأسماء الشهيرة بميزان جدى . ويرى يكون أن مالرو ليس فناً ، ومع ذلك فهو أكبر كاتب فى عصره . وهو يقول إنه لا يستطيع الحكم على روايات مالرو حكماً منزهاً ؛ ومع ذلك فهو لا يسلم لمالرو تسليماً كاملاً . فهو يرى فى مالرو ما رآه جيل

« أسرار المؤلف واكتشافها » . ويسائل مستر ميسون أى نوع من النقد ينتظر من مثل هذه المبادئ ، وأية أسرار يمكن أن نعر علىها ! فمثلاً نرى مسيو مورياك يلاحظ أن « تشين » فى قصة « الحالة البشرية » يكرر حركة كأنه يريد أن يشوه نفسه ، فى كل مرة يقدم فيها على القتل ، والمؤلف نفسه هو الذى ينهنا إلى ذلك . ومع ذلك يفرض مسيو مورياك أن المؤلف هو الذى يكرر ذكر هذه المسألة ، دون أن يشعر ، ويستخلص منها ما يستخلص من شذوذ جنسى فى طبيعة المؤلف ، مستشهداً بمقتبسات من رواياته من هنا وهناك . ولاريب فى أن مسيو مالرو لا يبعث على الشعور القوى بالحب الطبيعى ، ولا ينحى باللائمة فى أى مكان من مؤلفاته على الأعمال الشاذة التى توجد فى الأشخاص الذين يرسمهم . ومن الحق أن نقول إنه يصف مناظر فظيعة ، وأعمالاً تقشع لها الأبدان ، دون أن يكون لها شأن فى موضوع رواياته . ولكن الطريقة التى تبعها مسيو مورياك مما يخرج به عن النقد الأدبى . والعجيب أن مسيو مورياك يقول إنه لا يهتم بروايات مالرو ، وإنما يهتم بكشف أفكار مالرو الداخلية ، وهذا

سابق في جيد ، أى « إننا لا نستطيع اختيار طريقنا دون أن نحسب حساباً لطريقه » . والحقيقة أن مسيو بيكون يلجأ في تقديره إلى العاطفة أكثر مما يلجأ للنقد الصحيح . فهو يرى مالرو

من قلبه بين الشيوعية وبين ديحول بقوله : « ليس من الولاء . . . أن تفصل بين مالرو وأولئك الذين يريد أن يتحد معهم » . وهو لا يفهم لماذا كتب فرنسوا مورياك في يومياته

« إن نقطة الضعف في مالرو أنه يحقر الانسان » ولا يحاول تفسيراً جديداً للروايات الأولى التى يظهر فيها صحة هذا القول .

ونتيجة هذه النظرة البعيدة عن النقد ، أنه يتبع التأكيدات الغامضة

باعترافات خطيرة . فهو بعد أن يكتب الصفحات عن الاخوة والرجولة في موضوعات قصصه ، يعود فيقول « إن مالرو في الواقع لا يشعر شعوراً قوياً نحو الفرد ولا نحو الجمهور » .

ومن صفات هذا الاتجاه العاطفى أن يحل بريق العبارات محل النقد . وهذه صفة يتصف بها الكثيرون من النقاد الفرنسيين الذين يكتبون في المجلات والصحف الأدبية .

ويتناول مستر ميسون جوانب من أقوال مسيو بيكون ليظهر فيها كيف أن هذا الكاتب يتذبذب في رأيه نتيجة لسلوكه الطريقة العاطفية ، بدلا من اتجاهاه نحو النقد الصحيح .